صراع الأمواج

هكذا هي الدنيا ، تبسط حللها وأثوابها و تدعو مريديها ، فتتلألأ العيون وتتسع ، وربما تبيضّ ُ ، فلا تعود تُبصر إ ّ َلا ما كان لامعاً ، ولو كان زائفاً ، فالعقل في كمون وسكون ، والجسم في حراك و غ َل َب َـــة ، وتتبنى النفس كل حَسَن ، ولا فرق هنا أكان حَسَناً في جوهره كمظهره ،أو نضير القشر وحسب ،فالمطمع ما يرى لا ما يُهضم. والمعضلة ليست هنا ، بل حينما تتضارب الرغبات بين طامع وآخر، وتتصادم الأهواء مع بعضها البعض ، ويعلو شعار " تؤخذ الدنيا غلابا " حينها يُقرع جرس الصراع ، فتتعانق السباع ، وكلّ ٌ يستحلّ ُ روح مُنازِله ، والشباك مستمر ، ليس باليدين الخاليتين ، إنما بكل ما من شأنه أن يؤذي ، ليس برفعة المهارة وشدة الإتقان ، إنما بالقوة وشيء من الحيلة والمكر ، ولن يُحدّ ِد مآل المناجزة ،إ ّلا سحق أحد الطرفين ، وتزداد المحنة تعقّ ُداً حين يتعدّ َد المتشابكون ، ويتنكّر بعضهم لقيم المنافسة الشريفة ، وقواعد المنازلة العادلة .

ولنا في الحياة أمثال وصور مختلفة ، لو تأملناها قليلاً ، لوجدناها تنطبق وما نقول ، فهل ساءل المرء منّا نفسه ، كيف يتكلم ؟ وماذا يقول ؟ ومتى يصمت ؟ عن أي كلمة نغلق أسماعنا ؟ ومتى نفتحها ؟ هل تدبّ َر المرء منّ َا في أفعاله ؟ مع والديه .. مع إخوته .. مع أبنائه .. زوجه .. أصحابه ..زملائه .. مع أحبابه ؟ هل نظر المرء منّ َا إلى تصرّ ُفاته مع الآخرين ؟ وهل يقود المرء – مركبته – فيعفو و يتسامح ، أم تحتدم انفعالاته ، فيصطك مع كل مَنْ يقرب منه ؟ وقد يُفضّ ِل المشي ولكنّ َه يزاحم مرافقيه بمنكبيه وناظريه ، ولا يسلم منه أحد .

ولو استرسلنا في الأمثلة لطال بنا المقال ، وعظم المقام ، ما علينا – فقط – إلا أن نسحب ما تأمّ َلناها على جميع الأصعدة والمستويات من سلوكياتنا .

وخير لنا أن نراقب أفعالنا وأقوالنا ، لعلّ َنا نُحسن فيها ، ولعلّ َ ا يتقبّ َلها ، ويجود علينا بتوفيقه ، فنُفلح مع المُفلحين .